الفصل الثالث

عبودية عالم الغيب

وفيه:

تمهيد

القسم الأول : الأحياء الغيبية:

- المبحث الأول : الملائكة.
- المبحث الثاني : الجن والشياطين.

القسم الثاني : الكائنات الغيبية:

- المبحث الأول : عبودية الجنة والنار.
- المبحث الثاني : عبودية القلم والعرش.

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيد

قدمنا في بداية الفصل الثاني كلامًا شافيًا عن عبودية الكائنات عامة وسردنا من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وأقوال أهل العلم في ذلك بما يغني عن إعادته هنا، فحديثنا في هذا الفصل عن عالم الغيب، وهو كل ما غاب عن الحس ولا نعلم عنه سوى ما أثبتته النصوص الشرعية. وهو قسمان :

القسم الأول - الأحياء الغيبية . ونقصد بها الملائكة والجن والشياطين .

القسم الثاني- الكائنات الغيبية. وتشمل الجنة والنار، كما تشمل القلم والعرش.

والكلام عن عبودية القسم الأول مع بعض الخلافات التي حول الملائكة في عبوديتهم نحو خالقهم هل هم مقهورون عليها أم لهم اختيار؟ والراجح أنَّ لهم اخْتيار، كما سنرى إن شاء الله تعالى؛ فالكلام عن عبودية القسم الأول لا تعتبر مع الخلاف السابق شاذة أو مستغربة، إنَّما الذي يستدعي الدهشة والاستغراب أن نجد أفراد القسم الثاني - وهي ما أطلقنا عليها بالجمادات الغيبية - لها عبودية لخالقها جل وعلا ، كما أن لها من الإدراكات ما تميز به وتعقل قول باريها لها، مثلها في ذلك الجمادات التي تحدثنا عنها في عالم الشهادة.

وكما نقول دائمًا: إن صحة النصوص الشرعية التي نعتمد عليها في الاستدلال تجعلنا نؤمن بما جاء فيها من أخبار عن تلك الكائنات - وغيرها - .

القسم الأول
الأحياء الغيبية

المبحث الأول
عبودية الملائكة

التعريف بالملائكة :

هم أجسام نورانية لطيفة هوائية تقدر على التشكل بأشكال مختلفة، مسكنها السماوات، وشأنها الطاعات. خلقت من نور، وذلك لما جاء عن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ أنه ﷺ قال: «**خلقت الملائكة من نور**»(١).

والملائكة يعبدون الله تعالى حق عبادته باختيار منهم، ومُدِحُوا على عبادتهم لله تعالى بأعلى صفة وهي صفة العبودية، فقال تعالى عنهم: ﴿**بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ**﴾ [الأنبياء:٢٦]، فلو كانت عبادتهم اضطرارية لما أثنى عليهم، فكما أن البشر لم يمدحوا على إتيانهم عملية التنفس وعملية الهضم وعملية الإخراج، وهي عمليات اضطرارية، والإنسان مجبور عليها ومخلوق بها، كذلك بالنسبة للملائكة لو كانت عبادتهم اضطرارية لما مدحوا(٢).

---

(١) مسلم: ك، التفسير ـ ب: سورة الرحمن في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٥]. و(مختصره: ح٢١٦٩).

(٢) تعليق: لا عبرة لقول من قال إن عبادة الملائكة لله عز وجل عبادة تسخير وأنهم مجبورون عليها، فالمدح والثناء والذم لازم للفعل الاختياري، وليس كذلك للفعل الاضطراري، فلو سقط شخص من أعلى دون قصد منه، على حيوان مفترس فأراح الناس من شره فقتله فهل يسمى هذا الشخص بطلا؟! وكذلك من كان وجهه جميلا ـ وهو شيء قد جبل وخلق هذا الشخص عليه ـ هل نقول له جزاك الله خيراً على وجهك الجميل؟ بالطبع لا .. ولكن من يأتي طاعة ربه ويمتثل أوامره ويقدسه وينزهه عن كل سوء ويجتنب محارمه، استحق المدح والثناء، والعكس بالعكس. فمن أتى الكفر وعصى أمر ربه وأتى محارمه استحق الذم واستحق لعنة الله وملائكته والناس أجمعين.

وذكر القزويني عنهم الكثير . فقال مما قال: «واعلم أن الملائكة جواهر مقدسة عن طلب الشهوة وكدورة الغضب، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، طعامهم التسبيح ، وشرابهم التقديس، وأنسهم بذكر الله تعالى، وفرحهم بعبادته ، خلقوا على صورة مختلفة وأقدار متفاوته لإصلاح مصنوعاته، وإسكان سماواته» (١) اهـ.

أصنافهم :

وهم أصناف كثيرة حسب ما وُكِّل إليهم من أعمال، فمنهم حملة العرش، ومنهم الكرام الكاتبين، ومنهم خزنة الجنة وخزنة النار، ومنهم الموكَّلون بقبض الأرواح، ومنهم من وُكِّل بالسؤال في القبر. إلى غير ذلك من الوظائف المختلفة التي وُكِّلوا بأدائها.

صفاتهم :

فهم مع اختلاف وظائفهم يشتركون في صفات حميدة، مثل : الطاعة الكاملة والخضوع التام ، والطهر، وغيرها. قال تعالى عنهم: ﴿ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم: ٦]. وهؤلاء هم خزنة جهنم ـ أو الزبانية ـ قد نزعت من قلوبهم الرحمة بالكافرين بالله تعالى، ولكنهم وغيرهم مع بقية الملائكة مستسلمون لأمر الله تعالى، مطيعون له، لايبدر منهم أي معصية(٢)، كما يصطفى الله تعالى منهم رسلاً يقومون بأداء مهمات خاصة

---

(١) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات – القزويني : ٥٦ .

(٢) فالملائكة معصومون من الذنوب والكبائر ولايتاتى منهم أي معصية، وهذا ماعليه أئمة المسلمين قاطبة ولاينظر إلى المبتدعة الذين قالوا بعدم عصمة الملائكة وهم الكرامية أتباع محمد بن كرام. يزعمون أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب، وأنكروا أن يكون معرفة القلب أي شيء غير التصديق باللسان إيمان، وزعموا أن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ كانوا مؤمنين على الحقيقة وزعموا أن الكفر بالله هو الجحود والإنكار له باللسان . (لمعرفة المزيد من آرائهم راجع مقالات الإسلاميين : ١٤١)، و (الملل والنِّحل ـ الشهرستاني : ١٠٨ ـ ١١٣).

توكل إليهم دون بقية الملائكة، فيقول تعالى: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٧٥) ﴾ [الحج: ٧٥].

يقول ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في قوله تعالى: ﴿ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ ﴾ الآية: (أي مهما أمرهم به تعالى يبادرون إليه ولا يتأخرون عنه طرفة عين وهم قادرون على فعله ليس بهم عجز عنه) (١) اهـ.

كما قال تعالى عنهم: ﴿ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) ﴾ [الأنبياء: ٢٧].

وأما عن طهرهم، فيقول تعالى: ﴿ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) ﴾ [الواقعة: ٧٩]. وهم الملائكة ـ على الرأي الراجح ـ وقيل: بأنهم الطاهرون من الحدث أو الذنوب أو الشِّرك، قاله ابن كثير وغيره من أئمة التفسير (٢).

فالملائكة يتسمون بصفات عالية وبأخلاق سامية منزهون عن النقائص والآثام، ومفضلون على كثير من الأنام(٣) وهم مع علو منزلتهم ورفعة مكانتهم، وتمام عبوديتهم يتفاوتون فيما بينهم قى قدر منازلهم.

أشهرهم:

اشتهر أن رؤساء الملائكة: جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل ـ عليهم السلام ـ فجبرائيل هو أمين الوحي، وميكائيل موكل بالقطر، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور.

يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ عن الملائكة: «ورؤساؤهم الأملاك الثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل، فجبريل موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم، وقد أثنى الله

(١) تفسير القرآن العظيم: ٤ / ٣٩١.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٤ / ٢٩٨. راجع: كلام الشوكاني في فتح القدير: ٥ / ١٦٠.

(٣) راجع هذه المسألة بالتفصيل في الفتاوى ـ ابن تيمية: مجلد ٤ / ٣٤٢ ـ ٣٩٢. وشرح الطحاوية: ٣٣٧ ـ ٣٤٨.

تعالى على عبده جبريل في القرآن أحسن الثناء ووصفه بأجمل الصفات. فقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١])(١) اهـ.

وقد أثنى الله تعالى على ملائكته كما جاء ذلك كثيرا في آيات القرآن الكريم، فقرن ذكرهم به سبحانه ورفع منازلهم. لما يقومون به تجاه ربهم وخالقهم من عبوديتهم له سبحانه في خضوع تام، فحققوا مراتب عالية في العبودية فاستحقوا بذلك أن يكونوا عباد الله المكرمين. فقال تعالى: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

وجاء في شرح الطحاوية ما نصه: «والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم فتارة يقرن الله تعالى اسمه وصلاته بصلاتهم، ويضيفهم إليه في مواضع التشريف، وتارة يذكر حفهم بالعرش وحملهم له، ومراتبهم من الدنو، وتارة يصفهم بالإكرام والكرام، والتقريب والعلو والطهارة والقوة والإخلاص. قال تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ [آل عمران: ١٨]، ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [غافر: ٧]، ﴿ وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ [الزمر: ٧٥]. - ثم قال - : «وكذلك الأحاديث النبوية مليئة بذكرهم؛ فلهذا كان الإيمان بالملائكة أحد الأصول الخمسة(٢) التي هي أركان الإيمان»(٣).

---

(١) إغاثة اللهفان: لابن القيم: ج٢ / ١٢٧ - ١٢٨ - باختصار - .

(٢) هكذا قال والصواب أنها أحد الأصول الستة، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية: ٣٣٧.

مما سبق يتبين لنا عبودية الملائكة لخالقها عز وجل بما استحقت بها مكانتها ومنزلتها. ولمزيد من الإيضاح لعبوديتهم لله تعالى إليك هذا التفصيل.

فنقول وبالله التوفيق :

عبوديتهم :

١ ـ إيمانهم بالله عز وجل وشهادتهم بالتوحيد :

فالملائكة عليهم السلام يؤمنون بالله عز وجل إيمانًا كاملاً ويشهدون أنه لا إله إلا هو سبحانه ويخضعون لأوامره تعالى، كما يؤمنون به سبحانه وبأسمائه وصفاته وأنه تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العليا ، فيقول تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ [آل عمران: ١٨].

كما يشهدون ـ بعد شهادة الله تعالى ـ على صدق الوحي وأنه منزل من عند الله العزيز الحكيم. فقال تعالى: ﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (١٦٦) ﴾ [النساء: ١٩].

وعن إيمانهم بأسماء الله تعالى وصفاته، فيقول الله تبارك وتعالى: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) ﴾ [البقرة: ٣٢]. ويقول تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [غافر:٧].

يقول ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : « يخبر تعالى عن الملائكة المقربين من حملة العرش الأربعة ومن حوله من الملائكة الكروبيين بأنهم يسبحون بحمد ربهم أي يتقربون بين التسبيح الدال على نفي النقائص والتحميد المقتضي لإثبات صفات المدح ﴿ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ أي خاشعون له أذلاء بين يديه » (١).

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٧١ .

٢ ـ إقامتهم الصلاة :

فهم يؤدون الصلاة لربهم سبحانه سواء مع أنفسهم أو مع المؤمنين، أو كما جاء عن جبريل عليه السلام بأنه صلى مع رسول الله ﷺ، ففي صحيح البخاري أنه ﷺ قال: «**نزل عليَّ جبريل فأمني فصلَّيت معه، ثم صلَّيت معه، ثم صلَّيت معه، ثم صليت معه ، ثم صليت معه، يحسب بأصابعه خمس صلوات**» (١).

وأما عن صلاتهم مع المؤمنين، وهو ما يظهر من تأمينهم في الصلاة وكذلك حضورهم صلاة الجمعة لسماع الخطبة، وذلك في قوله ﷺ: «**إذا أمن الإمام فأمنوا فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه**» (٢).

وأما عن حضورهم صلاة الجمعة وذلك بعد تسجيلهم أسماء المبكرين إلى الجمعة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «**إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة يكتبون الأول فالأول ، فإذا جلس الإمام طووا الصُّحُف وجاءوا يستمعون الذكر**» (٣).

وأما عن صلاتهم الخاصة بهم وهي ما أخبر به المصطفى صلوات الله وسلامه عليه في حديث الإسراء الطويل؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «**فأتيتُ إبراهيم فسلَّمْتُ عليه فقال: مرحبًا بك من ابن ونبيّ فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم...**» الحديث (٤).

٣ ـ التسبيح والتحميد والسجود :

فهم ـ الملائكة ـ يسبحون ويحمدون الله عز وجل لا يفترون ولا يملون. فيقول تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن

---

(١) البخاري : ك: بدء الخلق ـ ب: ذكر الملائكة .

(٢) البخاري : ك: بدء الخلق ـ ب : ذكر الملائكة .

(٣) المرجع السابق.

(٤) البخاري : ك: بدء الخلق ـ ب : ذكر الملائكة .

يَشَاءُ ﴾ [الرعد : ١٣]، كما اعترفوا بأنفسهم أنهم يسبحونه تعالى ويقدسونه في قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [البقرة : ٣٠]. وقال تعالى : ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ [١] لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ (٢٠) ﴾ [الأنبياء : ١٩-٢٠].

فالملائكة يقومون بخالص العبودية دون استكبار منهم أو علو، وهم مطيعون وفى غاية الخضوع له سبحانه، يقول ابن كثير - رحمه الله تعالى - : « أخبر الله تعالى عن عبودية الملائكة له ودأبهم في طاعته ليلاً ونهاراً فقال : ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ ﴾ يعنى الملائكة. وقوله : ﴿ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ أي لا يتعبون ولا يملون ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ ﴾ فهم دائبون في العمل ليلا ونهارا مطيعون قصدا وعملا قادرون عليه » [٢] اهـ.

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧٥) ﴾ [الزمر : ٧٥]. فيخبر الله تعالى عن ملائكته بأنهم ملتفون حول العرش العظيم يسبحون بحمد ربهم ويمجدونه ويعظمونه ويقدسونه وينزهونه عن النقائص والجور [٣]. كما يخبر الله تعالى عن تسبيحهم في قوله : ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ ﴾ [الشورى : ٥].

وعن سجود الملائكة وتسبيحهم أيضا ، فيقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) ﴾ [النحل : ٤٩]. ويقول سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (٢٠٦) ﴾ [الأعراف : ٢٠٦].

---

(١) المراد بمن عنده : الملائكة (كما سيأتي بعد قليل) .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٣ / ١٧٥ .

(٣) المصدر السابق : ٤ / ٦٨ .

والذين ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ هم الملائكة بإجماع المفسرين . ذكره القرطبي [١] ـ رحمه الله تعالى ـ فهم يعظمونه وينزهونه عن كل سوء ويسجدون له .

وفى الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«إني لأرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون ، أَطَّت السماء وحُقَّ لها أن تَئِطَّ ، ما فيها مَوضِعُ أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجداً»** [٢] .

٤ ـ خوفهم من الله تعالى ومن يوم القيامة :

وعن جلهم وخوفهم من الله تعالى يقول عز وجل عنهم : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٥٠)﴾ [النحل: ٤٩ ـ ٥٠] .

وعن إشفاقهم من يوم القيامة حيث فيه الأهوال العظيمة والأحداث المشيبة . يخبر عليه الصلاة والسلام أن الملائكة وغيرها من المخلوقات يشفقون من يوم الجمعة لقيام الساعة فيه ، فلا يعلم قيامها إلا الله عز وجل ، فعن أبي لبابة بن عبد المنذر قال : قال رسول الله ﷺ : **«وفيه تقوم الساعة ، ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة»** [٣] .

٥ ـ الولاء والبراء عند الملائكة :

خلق الله تعالى الملائكة من نور ، ونزههم عن المعاصي والآثام ، فتجلى لهم عظم خالقهم ، فقدروه حق قدره ، فلم يصدر منهم إلا الطاعة والخضوع التام ، وكبر عليهم أن يُعْصَى الإله سبحانه ، فأحبوا أهل الطاعة فوالوهم في الله تعالى ، كما كرهوا أهل المعصية فعادوهم وتبرءوا منهم .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٧ / ٣٥٦ .

(٢) الترمذي : ك ، الزهد ـ ب : ما جاء في قوله ﷺ : «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا» . (وصحيحه : ١٨٨٢) . ابن ماجه : ك ، الزهد ـ ب : الحزن والبكاء . (وصحيحه : ح ٣٣٧٨) .

(٣) ابن ماجه : ك ، إقامة ـ ب : في فضل يوم الجمعة . (وصحيحه : ح ٨٨٨) .

فأما موالاتهم لأهل الطاعة. فتظهر في حب الملائكة إياهم ودعائهم لهم، وتأييدهم ونصرتهم وتثبيتهم في القتال وحضور مجالسهم، وسؤال المغفرة لهم، ووضع أجنحتهم لطالب العلم خاصة ، ويتضح ذلك من الأدلة التالية:

■ فعن استغفار الملائكة ودعائهم للمؤمنين:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) ﴾

[غافر : ٧ - ٩]

وقوله تعالى: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ ﴾ [الشورى: ٥].

■ وتقوم بتبشير المؤمنين بالجنة في الدنيا عند موتهم والسلام عليهم في الآخرة عند دخولهم الجنة، فأما في الدنيا فكما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) ﴾ [فصلت: ٣٠].

فيخبر الله تعالى بأن الملائكة تتنزل على المؤمنين الصادقين عند الموت وتقول: لا تخافوا مما تُقَدموا عليه من أمر الآخرة ولا تحزنوا على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين فإنا نخلفكم فيه، كما يبشرونهم بالجنة التي وعدوا بها[١].

وأما في الآخرة فكما في قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ(٧٣) ﴾ [الزمر: ٧٣].

---

(١) راجع : تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٩٨ - ٩٩ .

■ ومن دعائهم للمؤمنين: قوله عليه الصلاة والسلام : «**دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به : آمين ولك بمثل**» (١).

■ وعن حضور الملائكة مجالس الذكر واستغفارهم لأصحابها ولطالب العلم ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**» (٢).

وعنه أيضا عن النبي ﷺ قال: «**إن لله تبارك وتعالى ملائكة سَيَّارة فُضلاً يتبعون مجالسَ الذِّكْر فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا معهم وحَفَّ بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء الدنيا**» (٣).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من سَلَكَ طريقًا يلتمس فيه علمًا سَهَّلَ الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض**» (٤).

■ ومن مظاهر ولاء الملائكة لأهل طاعة الله تعالى:

نصرتهم وتأييدهم للمؤمنين في القتال. وقد حدث ذلك في بعض غزوات النبي ﷺ، فقال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: ١٢].

---

(١) مسلم : ك، الدعاء ـ ب : فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب. (ومختصره : ح١٨٨٢)، وابن ماجه : ك، المناسك ـ ب : فضل دعاء الحج . (وصحيحه : ح ٢٣٤٠).

(٢) مسلم : ك، الذكر ـ ب : فضل الاجتماع على تلاوة كتاب الله . (ومختصره : ح ١٨٨٨).

(٣) البخاري : ك/ الدعوات ـ ب : فضل ذكر الله عز وجل . مسلم : ك/ الذكر ـ ب : فضل مجالس الذكر. (ومختصره : ح ١٨٩٠).

(٤) ابن ماجه : المقدمة ـ ب : فضل العلماء والحث على طلب العلم . (وصحيحه : ١٨٤).

ويقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران: ١٢٥].

وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «**هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب**»(١).

وقد مدح رسول الله ﷺ من شهد بدرا من المؤمنين، ومن الملائكة، بل وجعلهم من أفضل الملائكة.

جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ قال: «**ما تعدُّون أهل بدر فيكم؟**» قال: «**من أفضل المسلمين**»، أو كلمة نحوها. قال: «**وكذلك من شهد بدراً من الملائكة**»(٢).

ومن مظاهر تأييد الملائكة لأهل طاعة الله تعالى تأييد جبريل عليه السلام لحسان بن ثابت(٣) في هجاء الكافرين، فقد قال النبي ﷺ لحسان: «**اهجُهم ـ أو هاجهم ـ وجبريلُ معك**»(٤).

■ وعن حب الملائكة لأهل طاعة الله تعالى:

ذكر أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا أحب الله عبداً نادى جبريل إن الله تعالى يحبُّ فلانا فأحبِّه، فيحبه جبريل فينادي في أهل السماء: إن الله يحبُّ فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبولُ في أهلِ الأرض**»(٥).

إلى غير ذلك مما يبين ولاء الملائكة لأهل طاعة الله تعالى.

---

(١) بخاري: ك: المغازي ـ ب: شهود الملائكة بدرا.

(٢) المصدر السابق.

(٣) هو: حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن، شاعر النبي ﷺ، مشهور، مات سنة ٥٤هـ، (تقريب التهذيب: ١ / ١٦١).

(٤) البخاري: ك، بدء الخلق ـ ب: ذكر الملائكة.

(٥) متفق عليه. بخاري: ك/ الأدب ـ ب: المقة من الله تعالى. مسلم: ك/ البر ـ ب: إذا أحب الله عبدا حببه لعباده. (ومختصره: ح ١٧٧١).

وأما عن براءتهم من أهل الكبائر والمعاصي فيظهر ذلك كثيرا في آيات القرآن والأحاديث الشريفة، وأول هؤلاء هم أهل الكفر والشرك لأنه أكبر الكبائر. فيقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١)﴾ [البقرة: ١٦١].

■ **وبغضهم لأئمة الكفر أشد وأغلظ:**

ففرعون ـ عليه لعنة الله تعالى ـ لما تجرأ على مقام الألوهية واستكبر على مقام العبودية وقال: أنا ربكم الأعلى، فكان جبريل عليه السلام يسارع فى إهلاكه وهو يغرق حتى لا تدركه رحمة الله تعالى حيث قال: آمنت بالذى آمنت به بنو إسرائيل، فظن جبريل عليه السلام أن هذا سينفعه فكان يسارع في إدخال الماء إلى في فرعون ليعجّل بهلاكه، وذلك لأن فرعون قد تجرأ على الله عز وجل.

ففى الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: **«لو رأيتني وأنا آخذ من حمأ البحر فأدسه في فيِّ فرعون، مخافة أن تدركه الرحمة»**[١].

وكذا موقفهم عليهم السلام مع النبي ﷺ لما أراد أبو جهل أن يقترب من النبي ﷺ كي يقتله.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم[٢]؟ فقيل: نعم. فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ـ زعم ليطأ على رقبته ـ فما فجئهم منه إلا وهو يركض على عقبيه، ويتقي بيديه، فقيل له ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقا من نار وهولاً وأجنحة. فقال رسول الله ﷺ: **«لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً»**[٣].

---

(١) صحيح الجامع: ح ٤٢٢٩، فإن قيل: كيف فعل ذلك جبريل عليه السلام بفرعون مع حرص أهل الإيمان على إيمان الكفار، قيل: فعل ذلك غضبا لله تعالى لطغيان كفره وعظم جرمه.

(٢) أي هل يصلي ويسجد على التراب؟

(٣) مسلم: ك، فضائل النبي ﷺ ـ ب: منع النبي ﷺ ممن هَمَّ بأذاه، ومختصره: ح ١٥٣٩، صحيح الجامع: ح٥١٤٥، ومشكاة المصابيح: ح ٥٨٥٧.

وعموما فإن الملائكة تبغض كل كافر بالله تعالى وكل عاص وكل من يبغضه سبحانه . فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « . . **وإذا أبغض الله تعالى عبداً دعا جبريل فيقول: إني أُبغض فُلانًا فأبغضه فيُبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه ثم تُوضع له البغضاء في الأرض**»(١).

كما يبغضون أهل المعاصي من المؤمنين. ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فَأَبَتْ فَبَاتَ غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح**»(٢).

■ كما تقوم الملائكة عليهم السلام بامتهان الكافرين، وذلك بضرب وجوههم وأدبارهم عند موتهم.

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأنفال : ٥٠].

■ تحديث الملائكة إلى عصاة المؤمنين وإلى الكافرين:

في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [النساء: ٩٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الزمر : ٧١].

وقوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ ﴾

[الملك: ٨، ٩].

---

(١) جزء من حديث أبي هريرة السابق ص ٣٦٢ .

(٢) البخاري : ك ، بدء الخلق ـ ب : ذكر الملائكة .

موقف الكفار من الملائكة:

افترق الناس في منزلة الملائكة؛ فقد حَطَّ من قدرهم أقوام، وغالى فيهم آخرون؛ فمنهم من عاداهم ، وهم اليهود، ومنهم من جعلهم إناثا وهم المشركون، ومنهم من جعلهم آلهة تُعبدُ من دون الله تعالى.

فأما اليهود فقد عادوا المصطفين من الملائكة وعلى رأسهم جبريل عليه السلام أمين الوحي، فقد كان اليهود يعتقدون بأن جبريل عليه السلام عدو اليهود من الملائكة(١).

فأنزل الله تعالى قوله: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ (٩٨)﴾ [البقرة: ٩٧ ، ٩٨].

وأما الذين حطوا من منزلة الملائكة فقد جعلوهم إناثا، وقالوا: بأن الملائكة بنات الله ـ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ـ فرد الله فريتهم الشنيعة، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩)﴾ [الزخرف: ١٩].

فالأنوثة والذكورة لاتعرفان إلا بالمشاهدة أو بإخبار من الله تعالى، إما في كتابه أو على لسان رسله، ولم يكن لديهم واحد منهما، فلا يقال في الملائكة ذكورا كما لايقال هم إناث، وروي عن سعيد بن المسيب أنه قال: الملائكة ليسوا ذكورا ولا إناثا ولايأكلون ولا يشربون ولايتناكحون ولا يتوالدون (٢).

قال تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠) أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢)﴾ [الصافات: ١٤٩ ـ ١٥٢]

---

(١) البخاري: ك، بدء الخلق ـ ب: ذكر الملائكة.

(٢) ذكره ابن حجر في الفتح: ٦ / ٣٠٦.

فالذي لم يتورع ولم يخف من قوله إن الملائكة بنات الله، قد سهل عليه قوله بأن لله ولداً، فتبًا لمن استخف بهؤلاء الكرام البررة، فكل من استخفَّ بإلهه الحق وملائكته الكرام استحق النار حيث هي مثواه.

وأما الذين غالوا في منزلة الملائكة فهم على طرفي نقيض من سابقيهم، فأولئك قد حطوا من منزلتهم، أما هؤلاء فقد رفعوا الملائكة إلى مرتبة الألوهية، فعبدوهم من دون الله تعالى، فكفروا وضلوا عن الجادة، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ (٤١) ﴾ [سبأ: ٤٠ - ٤١]

فالواجب شرعا تجاه الملائكة هو إنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله تعالى من أنهم عباد مكرمون، وأنهم صنف مختار من مخلوقات الله تعالى، وأنهم لايقدمون على شيء إلا بأمر الله تعالى لهم، والموت والفناء جائز عليهم، وجعل الله لهم أجلاً يعلمه هو سبحانه وهم بالغوه، فلا يوصفون بصفة تؤدي إلى الاستهزاء بهم أو الإشراك به سبحانه، كالحط من منزلتهم، كمعاداتهم أو وصفهم بأنهم بنات الله أو تأليههم .

قال تعالى: ﴿ لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) ﴾ [النساء: ١٧٢].

فيجب الإيمان بهم إجمالا وتفصيلا وذلك لقوله تعالى: ﴿ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ [البقرة:٢٨٥]؛ ولقوله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ ﴾ [البقرة : ١٧٧].

المبحث الثاني
عبودية الجن والشياطين

التعريف بالجن :

الجن في اللغة : اسم جنس جمعي وواحده جني، وهو مأخوذ من الاجتنان وهو التستر والاستخفاء، ومنه الجنة، والجنين، والجنون، والجنة. وهم نوع من العالم سموا بذلك لاختفائهم عن الأبصار فلا يرون(١).

وأما في الاصطلاح فقيل : بأنهم نوع من العالم المخالف للبشر والملائكة. وقيل: إن الجن في لسان الشرع ـ بناء على ماجاء في الكتاب والسنة، وقاله المفسرون: عالم غيبي مخالف للبشر والملائكة خلقهم الله تعالى من نار وكلفهم بالشرائع، فمنهم العاصي ومنهم المطيع، يأكلون ويشربون ويتناكحون ويتناسلون ويرون البشر من حيث لا يرونهم(٢).

فالجن من جملة المخلوقات الغيبية التي أخبر الله تعالى عنها في كتابه وعلى لسان رسوله عليه الصلاة والسلام .

إثبات عبودية الجن :

ولعل ما يهمنا في بحثنا هذا في الكلام عن الجن هو ما يخص عبوديتهم لله تعالى وإثبات ذلك . أما ما ذكرناه فأمرٌ يحتاج إليه البحث لبيان ما هم عليه من الحال، فالخلافات التي تدور حول الجن كثيرة وأولها في إثبات وجود الجن أصلاً

---

(١) بخاري : ك، بدء الخلق ، ب : ذكر الجن . الترمذي : ك، الطهارة ، ب : كراهية ما يستنجي به ، والحديث عنده عن عبد الله بن مسعود (صحيحه : ح١٧).

(٢) فتح الباري : ٦ / ٣٤٥ .

حيث أنكر كثير من الزنادقة [١] وجودهم رأسًا، كما ذكر ذلك ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في الفتح [٢]، نقلاً عن إمام الحرمين، أما ما عليه الجمهور وسلف هذه الأمة وخلفها هو إثبات وجودهم لما أخبر به الله تعالى وأخبر به رسوله عليه الصلاة والسلام عنهم وعن أحوالهم. وبناء على هذه النصوص القطعية والمتواترة والصحيحة فقد بوب الإمام البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ بابًا في ذكر الجن وثوابهم وعقابهم، وعلق ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ على التبويب فقال: «أشار بهذه الترجمة إلى إثبات وجود الجن إلى كونهم مكلفين» [٣]، وإذا ثبت وجودهم بالقطع فيهمنا في هذا المقام إثبات كونهم مكلفين.

أ ـ هل الجن مكلفون ؟

فأما عن كونهم مكلفين فهم مكلفون بالتوحيد وأركان الإسلام كما ذكره ابن حجر ونقل ـ رحمه الله تعالى ـ أن الجن عند الجماعة مكلفون . كما نقل أنه

---

(١) الزنادقة : ظهرت هذه الكلمة في أيام ماني بن فديك في عهد الدولة الساسانية بالفرس، وذلك أن الفرس حين عمل لهم زرادشت تفسيرا لكتابهم (المشناة) سماه الزند، وعمل لهذا التفسير شرحا سماه البازند، وكان الزند هو تأويل غير المقدم المنزل، وفي شريعتهم أنَّ من أورد شيئًا خلاف المنزل الذي هو (المشناة) وعدل إلى التأويل الذي هو الزند قالوا: هذا زندي، فأضافوه إلى التأويل وأنه منحرف عن الظواهر من المنزل إلى تأويل هو بخلاف التنزيل . فلما جاء العرب أخذت هذا المعنى من الفرس وقالوا: زنديق. اهـ بتصرف من مروج الذهب (١ / ١٩٣ ـ ٢١٢). وقال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ الزنديق : هو الذي ينكر الشرع جملة . شرح صحيح مسلم : ١ / ٢١٠٧ . وقيل : إنه له معان عدة منها :

أ ـ الزنيدق هو : القائل بالنور والظلمة .. أتباع ماني ومزدك.

ب ـ الزنديق هو : المتبع لدين ماني باطنًا مع اعتناق الإسلام ظاهراً.

ج ـ الزنديق هو : من يبطن الكفر ويظهر الإسلام.

د ـ الزنديق هو : الملحد الذي لا يؤمن بالله مطلقا.

هـ ـ الزنديق هو : المستهتر بأمور الدين.

كتاب الزندقة والزنادقة : ١١١ ـ ١١٢ ـ تأليف عاطف شكري .

(٢) فتح الباري : ٦ / ٣٤٣ . إنكار وجود الجن ... في الفتاوى : ١٩ / ١٠ .

(٣) المرجع السابق .

«لا خلاف بين أهل النظر في ذلك، إلا ما حكى عن بعض الضالين أنهم (أي الجن) مضطرون إلى أفعالهم وليسوا بمكلفين»(١).

وكما ذكر أبو الحسن الأشعري عن المعتزلة قولهم في الجن بأنهم مكلفون ومختارون فقال: «واختلف الناس في الجن هل هم مكلفون أم مضطرون؟ فقال قائلون من المعتزلة وغيرهم هم مأمورون منهيون قد أُمروا ونُهوا لأن الله عزوجل يقول: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ (٣٣)﴾ [الرحمن: ٣٣] وأنهم مختارون، وزعم زاعمون أنهم مضطرون مأمورون» (٢) اهـ.

وقد علق ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ على مقولة أبي الحسن الأشعري هذه لأنه نسبها إلى المعتزلة دون أن ينسبها إلى أهل السُّنَّة والجماعة إذ هم الأصل دون غيرهم والآخرون تبع لهم فقال ـ رحمه الله تعالى ـ بعدما أورد نص المقالات: «قلتُ: والصواب الذي عليه جمهور أهل الإسلام أنهم منهيون مكلفون بالشريعة الإسلامية وأدلة القرآن والسُّنَّة على ذلك أكثر من أن تحصر، فإضافة هذا القول إلى المعتزلة بمنزلة أن يقال: ذهبت المعتزلة إلى القول بمعاد الأبدان، ونحو ذلك مما هو من أقوال أهل الإسلام» (٣). اهـ

ثم سرد ـ رحمه الله تعالى ـ الأدلة من القرآن والسُّنَّة على تكليف الجن وأنهم مأمورون منهيون، بما لا يدع مجالاً للشك في هذا أو حجة للمخالف(٤).

فقال من جملة ما قال: «ولو لم يكن في هذا إلا قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً (١٥)﴾ [الإسراء: ١٥] وقد أخبر أنه سبحانه وتعالى يُعذّب كفرة الجن لكفى به حجة على أنهم مُكَلَّفون باتباع الرسل» (٥).

---

(١) فتح الباري: ٦ / ٣٤٤-٣٤٥.
(٢) مقالات الاسلاميين: ٤٤٠.
(٣) طبقات المكلفين: ١٠٩.
(٤) المصدر السابق: ص١١٠.
(٥) طبقات المكلفين: ١١٤.

كما جاء في كتاب (حياة الحيوان الكبرى) ما نصّه : « لا شك أن الجن مكلفون في الأمم الماضية، كما هم مكلفون في هذه الأمة لقوله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ(١٨) ﴾ [الأحقاف : ١٨]. وقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾ [الذاريات : ٥٦]. قيل : المراد مؤمنو الفريقين فما خلق أهل الطاعة منهم إلا لعبادته وما خلق الأشقياء إلا للشقاوة ولا مانع من إطلاق العام وإرادة الخاص، وقيل معناه إلا لآمرهم بعبادتي وأدعوهم إليها، وقيل إلاَّ ليوحدون (فإن قيل) لم اقتصر على الفريقين ولم يذكر الملائكة (فالجواب) أن ذلك لكثرة من كفر من الفريقين بخلاف الملائكة فإن الله قد عصمهم » (١) اهـ.

فالجن إذا مكلفون بأصول الشريعة وفروعها وهذا ما يظهر من عموم الأدلة إلا أنهم يختلفون بعض الشيء فيما كُلِّفوا به عن الإنس بحسبهم.

وهو ما أجاب به ابن تيمية ـ حين سُئِلَ ـ رحمه الله تعالى ـ عن الجان المؤمنين : هل هم مخاطبون بفروع الإسلام كالصوم وغير ذلك من العبادات؟ أم هم مخاطبون بنفس التصديق لاغير ؟

فقال : « لا ريب أنهم مأمورون بأعمال زائدة على التصديق، ومنهيون عن أعمال غير التكذيب ، فهم مأمورون بالأصول والفروع بحسبهم، فإنهم ليسوا مماثلي الإنس في الحد والحقيقة، فلا يكون ما أُمروا به ونهوا عنه مساويًا ما على الإنس في الحد، لكنهم مشاركون الإنس في جنس التكليف بالأمر والنهي والتحليل والتحريم، وهذا ما لم أعلم فيه نزاعا بين المسلمين » (٢) اهـ

وذكر الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ : « وإذا تقرر كونهم مكلفين فهم

---

(١) حياة الحيوان الكبرى : ١ / ١٩٢ .

(٢) الفتاوى : ٤ / ٢٣٣ .

مكلفون بالتوحيد وأركان الإسلام ، وأما ماعداه من الفروع فاختلف فيه لما ثبت من النهي عن الرَّوَث والعَظْم وأنهما زادُ الجن. فدل على جواز تناولهم للروث وذلك حرام على الإنس» (١).

وهذا يوافق قول ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ السابق بأن الجن مكلفون بحسبهم، فما ثبت تحريمه أو تحليله على الجن بالنص فهو خاص بهم. فأعلَمَ ـ رحمه الله تعالى ـ أن الجن مأمورون ومنهيون ومكلفون بما جاء من عند الله تعالى على ألسنة رسله عليه الصلاة والسلام (٢). وهذا يستلزم تكليفهم بشرائع يجب اتباعهم لها ، وذلك بطاعة هؤلاء الرسل ، ونظراً لأنه قد أجمع المسلمون قاطبة

---

(١) فتح الباري : ٦ / ٣٤٥ ـ بتصرف ـ

تعليق: إن العظم والروث يرجعان لما كان عليه أولاً، فالعظم يرجع لحما واللحم ليس بنجس، وكذلك الروث يكون علفا لدوابهم كما في حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ وفيه: وسألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة فقال: «كل عظم لم يذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما، وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم» فقال ﷺ: «فلا تستنجوا بهما فإنهما زاد إخوانكم من الجن».

(رواه الترمذي : ك: التفسير – ب : سورة الأحقاف) . كما ذكره مختصراً في ك: الطهارة ـ ب : كراهة ما يستنجى به، وصححه : ح ١٧ .

(٢) تعليق : هؤلاء الرسل سواء أكانوا من الإنس إلى الجن كما هو مذهب الجمهور بأن الرسل من الإنس وليس ذلك في الجن إنما فيهم منذرون يسمعون ماجاء من عند الله تعالى من رسل البشر ثم يبلغون أقوامهم من الجن فيكونون بمنزلة الرسل كما حكى الله تعالى عن رسل عيسى عليه السلام وهم أتباعه في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يس: ١٤] ، أم كانوا رسلا من الجن كما ذهب إلى ذلك الضحاك بن مزاحم ومقاتل بن سليمان وغيرهما، واحتج الضحاك بأن الله تعالى أخبر أن من الجن والإنس رسلا أرسلوا إليهم بقوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠] فكما أن للإنس رسلا منهم كذلك الجن لهم رسل منهم وتبعه في هذا الرأي الرازي وابن حزم وغيرهما . وهذه المسألة وهي : هل بعث الله تعالى رسلا من الجن؟ مختلف فيها بين من يثبت ذلك وبين من ينكره إلا أن الفريقين متفقان على أن الرسول محمدا عليه الصلاة والسلام مرسل إلى الجن والإنس معا، وهذا من تمام ختم النبوة به ﷺ، وهي خصوصية له عليه الصلاة والسلام لإرساله إلى الثقلين. (راجع في هذه المسألة : طبقات المكلفين ـ لابن القيم : ١٠٣)، وفتح الباري لابن حجر : ٦ / ٣٤٤، وحياة الحيوان الكبرى : للدميري : ١ / ١٩٢ . ، وتفسير الرازي : مجلد ٧ ـ جـ ١٣ ـ ص٢٠٥ ـ ٢٠٦).

على عموم رسالة نبينا محمد ﷺ إلى الثقلين ولاخلاف بينهم في ذلك، بل جعلها بعضهم له خصوصية كابن عبد البر وإمام الحرمين وابن تيمية وغيرهم، كما نقله ابن حجر عنهم(١)، وكذلك الطحاوي(٢). فإن الجن مكلفون باتباع شريعة الإسلام التي جاء بها النبي محمد ﷺ، وفى هذا يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ : «فأما شريعتنا فأجمع المسلمون على أن محمداً ﷺ بُعِثَ إلى الجن والإنس وأنه يجب على الجن طاعته كما يجب على الإنس» (٣).

ب ـ ما يظهر عبوديتهم لله عزوجل :

تكلمنا فيما مضى أن الجن مكلفون بالشرائع وبجميع الأوامر والنواهي التي أوحاها الله تعالى إلى رسله عليهم السلام وبلغوها عنه سبحانه، فامتثل من آمن بالله تعالى من الجن وجحد من كفر به سبحانه. فالذين آمنوا بالله ورسوله فأولئك هم المفلحون فكان مما يظهر عبوديتهم لله تعالى ما يلي :

١ ـ التوحيد :

وهو إفراد الله تعالى بما شرع من العبادة من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة حيث شملهم تكليف الله تعالى بصفة خاصة والإنس معهم لعبادته سبحانه وعدم الإشراك به. وذلك في قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ(٥٦)﴾ [الذاريات : ٥٦]، فتدل الآية على الغاية التي من أجلها خلق الله تعالى الجن والإنس ألا وهي عبادته سبحانه دون سواه .

٢ ـ إسلام الجن :

ومما يدل على إسلام الجن ما روي في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان ناسٌ من الإنس يعبدون ناساً من الجن، فأسلم الجن وتمسك هؤلاء

(١) فتح الباري: ٦ / ٣٤٥ .
(٢) شرح العقيدة الطحاوية: ١٧٦ .
(٣) طبقات المكلفين: ١٠٧ .

بدينهم فنزلت: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧)﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقد أقر مؤمنو الجن بإفراد العبادة لله عز وجل في قوله تعالى عنهم: ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢)﴾ [الجن: ٢].

كما أنهم نزهوا الله عز وجل من أن يكون له صاحبة كما قال مشركو العرب، أو أن يكون له ولد كما زعم كفرة اليهود في عزير بأنه ابن الله، وكما زعمت النصارى في عيسى عليه السلام بأنه ابن الله – تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا – فقال تعالى حكاية عن قول مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣)﴾ [الجن: ٣]. وذلك كنظير قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١)﴾ [الأنعام: ١٠١]، والظاهر من التحقيق أن مردة الجن وهم الشياطين. هم الذين زينوا للبشر من اليهود والنصارى والمشركين وسائر الكفرة عبادة غير الله تعالى، وهذا ما أقسم عليه إبليس اللعين، فقال تعالى حكاية عنه: ﴿لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (١١٨) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٨، ١١٩]. فهؤلاء المشركون ما عبدوا في الحقيقة غير الجن. وهذا كما جاء على ألسنة الملائكة في قوله تعالى عنهم: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ (٤١)﴾ [سبأ: ٤١]. هذا والله تعالى أعلم [(١)].

٣ـ سماعهم الأذان:

فالجن يسمعون أذان الصلاة من صوت المؤذن ويشهدون له مع من يشهد يوم القيامة. كما في حديث البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «إني أراك

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ٢ / ١٦٢.

تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك أو باديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة. قال أبو سعيد : سمعته من رسول الله ﷺ »[١].

٤ ـ استماعهم القرآن :

فقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة الصحيحة في إثبات ذلك عنهم منها قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ(٣٠) ﴾ [الأحقاف : ٢٩ ـ ٣٢] . وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) ﴾ [الجن:١، ٢]

فيه دليل على سماع الجن للقرآن وإعجابهم به، واهتدائهم بهديه وإيمانهم بالله عز وجل. كما يدل على إيمانهم بالرسل، كموسى عليه السلام، كما هو صريح في سورة الأحقاف ، وبرسوله ﷺ من قوله تعالى: ﴿ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ ﴾ وهو سيدنا محمد ﷺ ـ كما ذكره المفسرون ـ كما يدل على إيمانهم بالنار وبالجزاء والحساب في إثابة المطيع وعقاب العاصي، كما يدل على إيمانهم بالكتب المنزلة كالتوراة والقرآن. وبالجملة فإنهم يؤمنون بالله تعالى وكتبه ورسله واليوم الآخر والحساب.

ولقد قرأ رسول الله ﷺ على الجن سورة الرحمن ، حيث إنها تتحدث إلى الثقلين معا وأخبر عليه الصلاة والسلام أنهم كانوا أحسن مردودا من الإنس. فعن جابر قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا ، فقال: «**لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً**

---

(١) بخاري : ك، الأذان : ب : رفع الصوت بالنداء .

منكم، كنت كلما أتيت على قوله : ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ قالوا : لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد» (١).

ولقد تكرر قوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ في سورة الرحمن ثلاثين مرة، وهو ظاهر أنه خطاب للثقلين معا. وقد جاء مثل هذا الخطاب كثيرا في سور القرآن الكريم. فقد شمل الجن والإنس التحدي على الإتيان بمثل هذا القرآن مجتمعين أو منفردين وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) ﴾ [الإسراء: ٨٨].

٥ ـ إيمانهم بأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى :

لقد كانت الجن من جملة المخلوقات التي سخرها الله تعالى لنبيه سليمان عليه السلام ـ المؤمنون منهم والكافرون ـ فكانوا يعملون له ما يشاء من الأعمال الشاقة. فقال تعالى: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٣٨) ﴾ [ص: ٣٦ ـ ٣٨].

وقال : ﴿ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) ﴾ [سبأ : ١٢] . وقال: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) ﴾ [النمل : ١٧]. ففيه دلالة على إطاعة الجن ـ المؤمنين منهم والكافرين من مردة الشياطين ـ لأمر الله تعالى لخدمة سليمان عليه السلام بل وتوعدهم بالنكال في مخالفتهم له. فعلموا أن الله تعالى هو الحق المبين وأنه سبحانه ذو الألوهية على خلقه أجمعين فأطاعوه وأذعنوا لأمره ، بل إن الله تعالى قد أعطى نبيه سليمان عليه السلام سلطانا كاملا على الجن حيث كان يأمر من شاء منهم ويعاقب من عصى أمره من مردة الجن (٢).

---

(١) الترمذي : ك، تفسير القرآن ـ ب : سورة الرحمن . (وصححه : ح٢٦٢٤).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير : ٣ / ٢٣ ـ ٢٤ .

وكان من أمر الجن مع سليمان عليه السلام حين موته شيء عجيب، فقد كانت الجن تزعم بأنهم يعلمون الغيب، والظاهر أن الشياطين منهم هم الذين اعتقدوا ذلك، فإن المؤمنين منهم قالوا فيما حكاه الله تعالى عنهم : ﴿ وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) ﴾ [الجن: ١٠] . فيه اعتراف مؤمنيهم بأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، وجاء في تفسير أضواء البيان في معنى الآية : (فيه نص على أن الجن لاتعلم الغيب) (١).

أما اعترافهم جميعا بما فيهم المردة من الشياطين فهذا يظهر حين موت سليمان عليه السلام .،كما حكى القرآن الكريم عن ذلك . فجاء في محكم التنزيل: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤) ﴾ [سبا: ١٤].

فكانت الجن تعمل -وكذلك غيرهم- اعتقادا منهم أنه عليه السلام حي، وقائم على تسخيرهم فكان ذلك خير دليل عملي أمام أعينهم بأنهم لايعلمون الغيب وأنه بيد الله تعالى وحده. قال تعالى: ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥) ﴾ [النمل : ٦٥]. ولكن يطلع الله تعالى بعض غيبه على بعض رسله، كما قال تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

٦ . قيامهم بالدعوة والإنذار إلى أقوامهم :

فقد قام الجن بدعوة قومهم إلى الإيمان بالله تعالى وبرسوله عليه السلام واتباع أمرهما كما أنذروهم بالنار لمخالفة دين الله تعالى. فقال تعالى: ﴿ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا

(١) أضواء البيان : ٨ / ٥٤٣ .

بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢٩ ـ ٣١] .

والشاهد أن قيام الجن بعبوديتهم لله تعالى من خلال ما رأينا سابقا يجعلنا نؤمن بهم ونؤمن بأن منهم الصالحين ومنهم الجاحدين . وقد مدح رسول الله ﷺ وفد الجن الذي أتوا واستمعوا القرآن. فقال عليه الصلاة والسلام في حديث جابر السابق [١]: «**لقد قرأتها** ـ يعنى سورة الرحمن ـ **على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم**».

فمدحه عليه الصلاة والسلام وفد نصيبين بأنهم : نعم الجن، وبأنهم كانوا أحسن ردًّا من الصحابة عند سماعهم سورة الرحمن يدل على أنهم طائعون لله تعالى، إذ المدح يكون لمن أتى الواجبات وانتهى عما يسخط الله تعالى، كما أثبت عليه الصلاة والسلام محبته لأهل الطاعة منهم. فقال عن أهل الطاعة من الجن في حديث ابن مسعود رضي الله عنه [٢]: «**فإنه طعام إخوانكم من الجن**» وقصد بذلك الصالحين منهم .

وعلى المردة من الجن حين سئل عن الطاعون قال عليه الصلاة والسلام: «**وخز أعدائكم من الجن**» [٣].

وقد أخبرت الجن عن أصنافهم ، فهم فيهم كافرون ومسلمون، والمسلمون: صالحون ودون الصالحين، فقال تعالى حكاية عنهم : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الجن : ١١]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الجن : ١٤ ، ١٥].

---

(١) سبق ذكره.

(٢) ترمذي : ك، الطهارة ـ ب : كراهية ما يستنجي به (وصحيحه ح رقم ١٧).

(٣) رواه أحمد : ٤ / ٣٩٥ ـ ٤١٣ .

وهم كأصناف الإنس كما ذكر ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ فقال: «قد تضمنت هذه الآيات انقسامهم إلى ثلاث طبقات. صالحين، ودون الصالحين، وكفار. وهذه الطبقات بإزاء طبقات بني آدم، فإنها ثلاثة: أبرار، ومقتصدون، وكفار»[1] اهـ.

ما أعده الله عز وجل لكافرهم ومؤمنهم:

وإذا ثبت كونهم مكلفين، ثبت كونهم مجزيِّين على أعمالهم في إثابة المطيع وعقاب الكفرة منهم.

أ ـ جزاء الكافرين والعصاة من الجن:

فقد اتفق المسلمون على أن كفار الجن في النار، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣)﴾ [السجدة: ١٣]. وقوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)﴾ [الأعراف: ١٧٩]. وقوله: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [لأعراف: ٣٨] وهذا حكم كافرهم في الآخرة، أما العصاة من الجن فحكمهم حكم عصاة المؤمنين من الإنس فالحسنات يذهبن السيئات، ومرتكب الكبيرة دون الكفر وإن مات بدون توبة فهو في مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه دون تخليده في النار، وإن شاء عفا عنه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨)﴾ [النساء: ٤٨].

---

(١) طبقات المكلفين: ١٠٥.

ب ـ جزاء المؤمنين من الجن :

أما مؤمنو الجن فقد اختلف العلماء في ثوابهم [١] فقيل: إنهم يدخلون الجنة. وهو ما ذهب إليه الجمهور .

وقيل : بأن المؤمنين من الجن يكونون في ربض الجنة.

وقيل : بأن مؤمني الجن من أهل الأعراف .

وقيل : بأن ثواب مؤمنيهم النجاة من النار ثم يصيرون تراباً، وهو ما حُكي عن أبي حنيفة[٢] ـ رحمه الله تعالى ـ وغيره .

والقول الأول هو الصواب: إذ أن الجن والإنس مشتركون في الغاية التي من أجلها خلقوا وهي عبادة الله تعالى وإفراده بها وعدم الإشراك به سبحانه. فمن أتاها من الفريقين استحق الجنة ومن جحدها واستعلى عليها كان من أهل الشقاوة في النار خالدا فيها أبدا. وهو ما ذهب إليه الجمهور من العلماء والمفسرين والأئمة ، إلا ما ذهب إليه أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ إلى أن ثوابهم هو نجاتهم من النار ، ثم يصيرون ترابا فنقول: إن كان النص القرآني الذي في هذه المسألة ظاهره يدل على نجاتهم من النار في مثل قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

فأين النص القرآني الذي يدل بظاهره أو باطنه على أنهم يصيرون ترابا كالبهائم؟!!

أدلة الأقوال السابقة:

أ ـ حجة الفريق الأول :

ذهب الجمهور إلى أنَّ مؤمني الجن في الجنة، واستدلوا لذلك بأدلة منها :

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا

---

(١) راجع التفسير الكبير للرازي : ٢٨ / ٣٣، الفتاوى لابن تيمية : ٤ / ٢٣٢، فتح الباري : ٦ / ٣٤٦، طبقات المكلفين لابن القيم : ١١٨، وتفسير القرآن العظيم : ٤ / ٢٧٨ .

(٢) فقيه العراق النعمان بن ثابت بن زوطا التيمي ، مولده سنة ٨٠ هـ ، كان إمام ورعا عالما متعبدا كبير الشأن، كان موته سنة ١٥٠هـ ، (تذكرة الحفاظ: ١ / ١٦٨ ـ ١٧٩).

وَلا رَهَقًا (١٣) ﴾ [الجن : ١٣]. فقالوا : وبهذه الحجة احتج البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ[١] .. ووجه الإحتجاج : أن البخس المنفي هو نقصان الثواب، والرهق: الزيادة في العقوبة أو الظلم على ما عمل، فلا ينقص مؤمنهم من ثواب حسناتهم ولايزداد في سيئاتهم . ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا (١١٢) ﴾ [طه: ١١٢].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ﴾ [الرحمن : ٤٦ ـ ٤٧] . وذكر ما في الجنتين إلى قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ (٥٦) ﴾ [الرحمن : ٥٦] . هذا دليل على أن ثواب مُحسنهم الجنة، والخطاب في سورة الرحمن للثقلين معا في أول السورة إلى آخرها، وتكرر قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ للجن والإنس معا، وقد تقدم حديث جابر ﷺ وفيه أن الجن كانوا أحسن مردوداً لما قُرِأَت عليهم هذه السورة، وفى قوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦) ﴾ [الرحمن: ٤٦] فقد رتب سبحانه الجزاء المذكور وهو الجنة على خوف مقامه، فدل استحقاقهم به.

وفى قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ (٥٦) ﴾ [الرحمن: ٥٦] ذكر وصف نسائهم أي نساء أهل الجنتين ، ومعناه أنه لم يطمث نساء الإنس إنسٌ قبلهم ، ولا نساءَ الجنّ جنٌّ قبلهم.

٣ ـ لا دار للمكلفين سوى الجنة والنار وكل من لم يدخل النار من المكلفين بتنجية الله تعالى له ، فالجنة مثواه ، كما أن من لم يدخل الجنة من المكلفين فالنار مثواه .

٤ ـ أخبر سبحانه عن ملائكته أنهم يستغفرون لمن في الأرض في قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ ﴾ [الشورى: ٥]، والذين في الأرض وعليهم مدار التكليف هم الجن

---

(١) فتح الباري: ٦ / ٣٤٦، طبقات المكلفين : ١١٨ .

والإنس فإنه ـ أي الملائكة ـ يقولون : ﴿ فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) ﴾ [غافر : ٧ ـ ٨]. فدل على أن كل مؤمن غفر الله تعالى له ووقاه عذاب الجحيم، فقد وعده بالجنة فتعين دخول مؤمني الجن الجنة إذ كان الله لايخلف وعده (١).

ب ـ أدلة الفريق الثاني :

ذهب الفريق الثاني إلى القول بأن المؤمنين من الجن يكونون في ربض الجنة، وهذا منقول عن مالك وطائفة ، وقيل : بأنه ورد في ذلك حديث رواه الطبراني أنهم يكونوا في ربض الجنة يراهم الإنس من حيث لايرونهم (٢).

جـ ـ أدلة الفريق الثالث :

وهم القائلون بأن مؤمني الجن من أهل الأعراف . وأما القول بأن ثواب مؤمنيهم النجاة من النار ثم يصيرون ترابا فقد حكى عن أبي حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ وغيره واحتج بقوله تعالى : ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) ﴾ [الأحقاف: ٣١] قالوا فلم يذكر دخول الجنة ، فدل ذلك على أنهم لا يدخولونها.

ويرد عليهم : بأن ذكر أحد ما يترتب عليه الإيمان بالله تعالى وهو النجاة من النار لايدل على انتفاء الأمر الآخر وهو ثواب دخول الجنة، فقد يكون الاقتصار عليه للترهيب أشد في حملهم على الإيمان بالله تعالى (٣).

كما استدلوا بما رواه ابن أبي الدنيا عن ليث بن أبي سليم قال: « ثواب الجن أن يجاروا من النار ثم يقال لهم : كونوا ترابا » (٤).

---

(١) طريق الهجرتين : ٤١٧، فتح الباري : ٦ / ٣٤٦ .

(٢) الفتاوى : ٤ / ٢٣٣، فتح الباري : ٦ / ٣٤٦ . ولم يحكم ابن تيمية على حديث الطبراني بضعف أو صحة، ولم أعثر على الحكم عليه .

(٣) اليواقيت والجواهر : ١ / ١٣٦ .

(٤) ذكره ابن حجر في الفتح : ٦ / ٣٤٦ .

وهذا لا دليل فيه إذ أن ليث بن أبي سليم هذا متكلم فيه بضعفه من قبل أهل الحديث، فقد ذكر الإمام الذهبي [١] ـ رحمه الله تعالى ـ أقوال أهل العلم فيه من أنه: مضطرب الحديث، ضعيف، اختلط في آخر عمره [٢].

الرأي الراجح :

إن ظاهر عموم الآيات التي استدل بها الجمهور تدل على أن ثواب مؤمني الجن الجنة وأنهم يتنعمون بنعيمها كغيرهم من البشر، مجازاة لهم على طاعتهم.

قال الفخر الرازي : « والصحيح أنهم في حكم بني آدم فيستحقون الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية » [٣].

وقال النووي ـ رحمه الله تعالى : « والصحيح أنهم يدخلونها ويتنعمون فيها بالأكل والشرب وغيرها » [٤].

ويقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ : « فإذا علم تكليفهم بشرائع الأنبياء ومطالبتهم بها وحشرهم يوم القيامة للثواب والعقاب ، علم أن محسنهم في الجنة وأن مسيئهم في النار » [٥]. وقال أيضاً: « أما حكم مؤمنيهم في الدار الآخرة فجمهور الخلف والسلف على أنهم في الجنة » [٦] والله تعالى أعلم.

---

(١) هو : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي الحافظ، ولد سنة ٦٧٣هـ، بكفر طنا من غوطة دمشق، توفي سنة ٧٤٨هـ . (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : ٣ / ٤٢٦).

(٢) ميزان الاعتدال ـ الذهبي : ٣ / ٤٢٠ ـ ٤٢١، المغني في الضعفاء : ٢ / ١٣٦ .

(٣) التفسير الكبير : ٢٨ / ٣٣ .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم : ٤ / ١٦٩ .

(٥) طبقات المكلفين : ١١٨ .

(٦) طريق الهجرتين : ٤١٨ .

القسم الثاني
الجمادات الغيبية

المبحث الأول
عبودية الجنة والنار

الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان وهما مآل العباد يوم القيامة، فيؤتى بالموت وينحر بينهما فيقال حينئذ لأهل الجنة خلود بلا موت، ويقال لأهل النار خلود بلا موت.

ولقد اختصمت الجنة والنار إلى ربهما بما يفيد عبوديتهما لله تعالى. واختصامهما إليه سبحانه يدل على معرفتهما بأنه عز وجل خالقهما، كما يدل أيضا على إدراكهما وأن الله تعالى قد أودع فيهما التمييز الذي جعلهما يحاجان بعضهما البعض ويتكلمان إلى ربهما، فكل منهما يُخَاطِب ويُخَاطَب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تحاجَّت الجنة والنار فقالت النار: أُوثِرْتُ بالمتكبرين والمتجبِّرين، وقالت الجنة: فمالي لايدخلني إلا ضعفاء الناس وسُقَطهم وغبرتهم. فقال الله عز وجل للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكلٍّ واحدة منكما ملؤها**»[1]، والحديث يدل على أن الاحتجاج والأقوال منسوبة للجنة والنار لا لخزنتهما، فلنلحظ قول الجنة مثلاً: «**فما لي لا يدخلني**» يبين أن الكلام للجنة لا لخزنتها، وكذلك النار فالحديث على ظاهره ولايحتاج إلى التأويل.

قال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ: «والحديث على ظاهره، وأن الله يخلق في

---

(١) بخاري: ك/ التفسير، ب: سورة (ق). ومسلم: ك/ صفة النار، ب: النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء (مختصره: ١٩٨٠).

الجنة والنار تمييزاً يُدركان به ويقدران على المراجعة والاحتجاج»(١).

ونقل الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ : «أنه يجوز أن يكون هذا الخصام حقيقة بأن يخلق الله فيهما حياة وفهما وكلاما والله قادر على كل شيء»(٢).

وهذا غير مستبعد بل هو الصحيح، كما رأينا وسنرى بعد قليل المزيد من الأدلة في هذا. وتحقيقا لعبودية الجنة والنار لخالقها عز وجل مع ما مر بنا من احتجاجهما وتخاصمهما إلى ربهما، فقد جاء عن النار شكواها لربها وأنها تغتاظ من رؤية الكافرين وهم آتون إليها.

فأما عن شكوى النار إلى ربها عز وجل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**اشتكت النار إلى ربها وقالت: أكل بعضي بعضا، فجعل لها نفسين، نفسًا في الشتاء ونفسًا في الصيف، فأما نفسها في الشتاء فزمهرير، وأما نفسها في الصيف فسموم**»(٣).

وشكواها إلى خالقها يدل على كلامها ونطقها بكلام مفهوم تدرك معناه. وإلا فما المقصود بالشكوى إذا ؟!

وإن قيل : كيف يتحقق هذا الكلام بدون لسان ؟

فنقول : أما تدري أن للنار لسانا بل لها أذنان وعينان، وإليك ما يطمئن قلبك. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**يخرج عنقٌ من النار يوم القيامة له عينان تُبْصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق فيقول: إني وكلت بثلاث: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلها آخر، وبالمصورين**»(٤).

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي : ١٧ / ١٨١ .

(٢) فتح الباري : ١٣ / ٤٣٦ .

(٣) ترمذي : ك/ صفة جهنم ـ ب : أن للنار نفسين : (وصحيحه / ح٢٠٩٠). ابن ماجه : ك/ الزهد ـ ب : صفة النار : صحيحه رقم : ٣٤٨٧).

(٤) الترمذي : ك : صفة جهنم ـ ب : صفة النار (وصحيحه : ح ٢٠٨٣). والسلسلة الصحيحة : ٥١٢ .

وأما عن تغيظ النار لرؤية الكافرين القادمين إليها فذلك في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١) إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا (١٢)﴾ [الفرقان: ١١ - ١٢].

فالنار يزداد لهيبها عندما ترى الكافرين وهم قادمون إليها من على بعد، وهي تراهم بأعينها فيزداد غيظها وحنقها عليهم بسبب كفرهم بالله عز وجل وتكذيبهم بيوم القيامة والآية تدل على أن النار هي التي تغتاظ وليس خزنتها.

قال القرطبي - رحمه الله تعالى - في هذه الآية: «المعنى: إذا رأتهم جهنم سمعوا لها صوت التغيظ عليهم، وقيل: المعنى إذا رأتهم خزانها سمعوا لهم تغيظًا وزفيرًا حرصًا على عذابهم. والأول أصح»[١]. اهـ. ثم ذكر حديث أبي هريرة - السابق - لإثبات كلام جهنم ورؤيتها.

ويقول الشيخ الشنقيطي - رحمه الله تعالى -: «إن النار يوم القيامة إذا رأت الكفار من مكان بعيد أي في عرصات المحشر اشتد غيظها على من كفر بربها وعلا زفيرها فسمع الكفار صوتها من شدة غيظها وسمعوا زفيرها»[٢].

كما استدل - رحمه الله تعالى - بقوله عز وجل: ﴿مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ على حدة بصرها وقوته[٣]. ومما يُستدل به أيضًا على تغيظ النار لرؤية الكافرين قوله تعالى: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨)﴾ [الملك: ٧، ٨].

فإذا كانت الأدلة القرآنية والأحاديث الشريفة تدل على صفات النار وما لها من العين والأذن واللسان وأنها تدرك فتتكلم وتغتاظ، بما لا يدع مجالاً للشك، فما الداعي لصرف تلك البراهين وتأويلها على غير حقيقتها فيقال بأن المقصود خزنة جهنم!!

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٣ / ٧.
(٢) أضواء البيان: ٦ / ٢٨٧.
(٣) المرجع السابق.

وكما أن النار تغتاظ ويُسمع لها زفير عندما ترى الكفار قادمين إليها، فإن الجنة تشتاق لأهلها، فقد جاء عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة : لعلي وعمار وسلمان**» (١).

واعلم أن قول النار إجابة عن سؤال ربها إليها في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق: ٣٠]. على الحقيقة ولاتجوز فيه وليس من كلام خزنة جهنم أيضًا، وهذا ما أيده كثير من أهل التفسير المعتبرين، وإليك كلام بعضهم :

فيقول ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : « يخبر الله تعالى أنه يقول لجهنم يوم القيامة هل امتلأت وذلك لأنه تبارك وتعالى وعدها أن سيملؤها من الجِنَّة والنَّاس أجمعين، فهو سبحانه وتعالى يأمر بمن يأمر به إليها ويلقي وهي تقول: هل من مزيد؟ » (٢).

ويقول القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ بعد أن ذكر القول بالمجاز : « وقيل : يُنطِقُ الله النار حتى تقول هذا كما تنطق الجوارح، وهذا أصَحّ على ما بيناه في سورة الفرقان(٣) »(٤) اهـ.

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى ـ : « واعلم أن قول النار في هذه الآية ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ قول حقيقي ينطقها الله به » (٥) اهـ.

وذكر ـ رحمه الله ـ كلاما طيبا عن رؤية النار وكلامها يجدر بنا أن ننقله هنا بأكمله. فقال: «اعلم أن التحقيق أن النار تبصر الكفار يوم القيامة، كما صرح الله بذلك في قوله هنا: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ورؤيتها إياهم من مكان بعيد

---

(١) صحيح الجامع : ١٥٩٤ .
(٢) تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٢٢٦ .
(٣) سبق ذكره في الصفحة السابقة.
(٤) الجامع لأحكام القرآن : ١٧ / ١٨ .
(٥) أضواء البيان : ٧ / ٦٥٣ .

تدل على حدة بصرها كما لايخفى، كما أن النار تتكلم ، كما صرح به في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ (٣٠) ﴾ والأحاديث الدالة على ذلك كثيرة، كحديث محاجة النار مع الجنة، وكحديث اشتكائها إلى ربها فأذن لها في نَفَسَين، ونحو ذلك، ويكفى في ذلك أن الله جل وعلا صرح في هذه الآية أنها تراهم وأن لها تغيظا على الكفار وأنها تقول: هل من مزيد؟ ، واعلم أن ما يزعمه كثير من المفسرين وغيرهم من المنتسبين للعلم من أن النار لاتبصر ولاتتكلم ، ولا تغتاط، وأن ذلك كله من قبيل المجاز، أو أن الذي يقل ذلك خزنتها، كله باطل ولا معول عليها لمخالفته نصوص الوحي الصحيحة بلا مستند والحق هو ما ذكرنا . فقد أجمع من يُعتَدّ به من أهل العلم على أن النصوص من الكتاب والسُّنَّة لا يجوز صرفها عن ظاهرها إلا بدليل يجب الر جوع إليه كما هو معلوم فى محله »[١]. اهـ.

وكلام أهل التفسير السابق يدل على الإدراكات التي أودعها الله تعالى في النار وأنها حق بصريح الكتاب والسنة. كما أن كلام الشيخ الشنقيطي يعتبر ردا قويا على من ذهب إلى القول بالمجاز، أو بأن المقصود من الآيات : هم خزنة النار.

وأريد أن أضيف شيئا للرد على من قال: إن المقصود هم خزنة النار. فأقول : لاشك أن الله تعالى وهو القادر سبحانه قد أنزل هذا القرآن بألفاظه على أكمل نحو وأحكم نظم، فقد نسب سبحانه في سورة الزمر القول والسؤال الموجه إلى الكفار إلى خزنة النار ـ كما نسب القول والسلام الموجه إلى المؤمنين إلى خزنة الجنة، فقال عز من قائل: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) ﴾ [الزمر : ٧١]. فهذا هو كلام خزنة النار وليس كلام النار.

---

(١) أضواء البيان : ٦ / ٢٨٨ .

أما عن كلام خزنة الجنة فيقول الله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) ﴾ [الزمر : ٧٣] . فعلم بذلك أن الكلام الموجود في سورة الزمر منسوب إلى خزنة النار وخزنة الجنة وهم الملائكة، فسبحانه عز من قائل قادر أن ينزل ألفاظ القرآن الموجودة في آية الفرقان فتكون: [إذ رآهم خزنتها من مكان بعيد] وفى آية ق: [وتقول خزنتها هل من مزيد].

ولكن الألفاظ المنزلة تدل دلالة واضحة على أن الرؤية والكلام وغيره منسوب إلى النار لا إلى غيرها ، بل وشهدت السنة المطهرة على صدق هذا ، وبينته فيجب الإيمان بذلك دون تأويل أو تحريف، ونسلم بتلك الأمور الغيبية التي لا نعلم كنهها ولا حقيقتها إلا ماثبت بالنص الصريح الصحيح.

نار الدنيا :

مر بنا فيما سبق الكلام عن عبودية النار لخالقها عز وجل، إلا أنه كان عن نار الآخرة، فماذا عن نار الدنيا، هل لها من عبودية لموجدها عز وجل؟

إن الأدلة القرآنية والأحاديث الثابتة تدل على أن هذه النار ـ وهي نار الدنيا ـ مأمورة هي الأخرى ، وخاضعة لأمر باريها. وأنه سبحانه إن شاء لها وأمرها بالخروج عما خلقت وألفت من الإحراق استجابت لذلك. وإليك بيان ذلك .

فللنار موقف عظيم مع نبي الله إبراهيم عليه السلام حين ألقاه قومه فيها فنجاه الله تعالى منها، وذلك بخطابه سبحانه وتعالى للنار بأن تكون برداً وسلاماً فلا تمس إبراهيم عليه السلام بسوء، فقال تعالى: ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠) ﴾ [الأنبياء : ٦٨ ـ ٧٠] .

فكانت كما أمرها ربها ولم تمس إبراهيم عليه السلام بأذى، والقول في قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا ﴾ قول حقيقي كما أوضحه الألوسي بقوله : « الظاهر أن الله تعالى هو

القائل لها: ﴿كُونِي بَرْدًا﴾ إلخ، وأن هناك قولاً حقيقية»[١] اهـ. والنداء في قوله تعالى: ﴿يَا نَارُ﴾ يدل على إدراك النار للخطاب، ونجاته عليه السلام من الإحراق رغم إلقائه مكتوفا في المنجنيق، يدل على استجابة النار لأمر ربها وطاعتها إياه.

كما كان للنار موقف آخر مع نبي من الأنبياء هو يوشع بن نون عليه السلام يدل على إدراك النار، فقد أبت أن تحرق الغنائم بعدما زفرها هذا النبي وجنوده لما كان في الغنائم من غلول. قال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ: «هذه كانت عادة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في الغنائم. أن يجمعوها فتجيء نار من السماء فتأكلها فيكون ذلك علامة لقبولها وعدم الغلول»[٢]. اهـ.

والحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**غزا نبي من الأنبياء... ثم قال: .. حتى فتح الله عليه، قال: فجمعوا ما غنموا فأقبلت النار تأكله فأبت أن تطعمه فقال: فيكم غلول، فليبايعني من كل قبيلة رجل، فبايعوه فلصقت يد رجل، فقال: فيكم الغلول أنتم غللتم. قال: فأخرجوا له رأس بقرة من ذهب. قال: فوضعوه في المال وهو في الصعيد فأقبلت النار فأكلته**»[٣].

فأبت النار أن تأكل الغنائم لما أعلمها الله عز وجل بأن فيها غلولاً، فلما أوتي ما أخذ من الغنائم أكلتها النار، وقبلت الغنائم. فالله عز وجل طيب لا يقبل إلا طيباً.

---

(١) روح المعاني: مجلد ٦ ـ جـ ١٧ ـ ص ٦٩.

(٢) صحيح مسلم: شرح النووي: ١٢ / ٥٢.

(٣) مسلم: ك، السير ـ ب: تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة (ومختصره: ١١٣٧).

المبحث الثاني
عبودية القلم والعرش

القلم :

من الكائنات التي خلقها الله عز وجل وشهدت بخالقها. وهو من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها إجمالاً حيث أخبرت بها النصوص القطعية، فأخبرت بأن القلم قد تكلم، وذلك في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه حيث يقول: قال ﷺ: «**إن أول ما خلق الله القلم. فقال له: اكتب! قال: رب!! وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**»(١).

فإخباره عليه الصلاة والسلام عما قاله القلم حين خلق، يدل على حقيقة كلام القلم وعلى إدراكه الَّذي أودعه عز وجل فيه. حتى سأل ربه استفساراً عما يكتب، وفيه إقرار من القلم بربوبيته لله عز وجل.

العرش :

العرش من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها إجمالاً، كما أخبر الله تعالى وأخبر رسوله عليه السلام عنها، وهو من الكائنات المخلوقة أيضًا. وليس غرضنا هنا أن نتعرض للأدلة على إثباته أو إثبات استواء المولى عز وجل عليه، أو ذكر الخلافات الكثيرة في هذا، ولكن نحب أن نبين هنا عبوديته لله تعالى حيث اهتز العرش لموت صحابي جليل من خيرة الأنصار وهو سعد بن معاذ(٢). فعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**اهتز عرش الرحمن عز وجل لموت سعد بن معاذ**»(٣). قال ابن

(١) أبو داود: ك: سنة ـ ب: في القدر.

(٢) هو: سعد بن معاذ بن النعمان الأنصارى الأشهل أبو عمر، سيد الأوس، شهد بدرا، واستشهد بسهم أصابه بالخندق، مناقبه كثيرة. (تقريب التهذيب: ١ / ٢٨٩).

(٣) بخاري: ك، مناقب الأنصار ـ ب: مناقب سعد بن معاذ، مسلم: ك: فضائل الصحابة ب ـ: في فضل سعد بن معاذ. و(مختصره: ١٧٠٠).

حجر - رحمه الله تعالى - : « والمراد باهتزاز العرش استبشاره وسروره بقدوم روحه »[١].

وذكر النووي - رحمه الله تعالى - أقوال العلماء في اهتزاز العرش. فقالت طائفة: إنه على ظاهره، وإنه تعالى جعل للعرش تمييزا حصل به هذا ولا مانع منه، كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ الآية [البقرة: ٧٤].

وقال آخرون : إن المراد باهتزاز العرش هو اهتزاز حملة العرش من الملائكة.

وقال جماعة: المراد اهتزاز سرير الجنازة وهو النعش، وهذا القول باطل لصريح هذه الروايات، حيث أُضيف العرش إلى الرحمن سبحانه وتعالى، ولا يُقال للنعش عرش الرحمن[٢] فالعرش له ولاء لأهل الطاعة والتقوى، وسواء اهتز استبشاراً لقدوم روح سعد أو حزناً على موته، فالاهتزاز للعرش ثابت وولاؤه لبعض الصحابة ثابت أيضا.

(١) فتح الباري : ٧ / ١٢٤ .
(٢) راجع : شرح مسلم للنووي : ١٦ / ٢٢ .